بلاغة التصوير بالوجه
فى القرآن الكريم

إعداد

د/ مها إبراهيم المشيطى

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الإجتماعية

جامعة القصيم / ٢٠١٢

بلاغة التصوير بالوجه فى القرآن الكريم

تقديم

الوجه هو أشرف جزء فى الإنسان ، به يواجه الآخرين وبه (الوجه) يميزون بينه وبين بقية الناس ، والوجه هو المرآة التى تنعكس عليها أحوال الإنسان النفسية خجلا أو خوفا ، غضبا أو فرحا.

وهذه الأحوال والتغيرات التى تلحق الوجه تفضح مشاعر كثير من الناس ، مهما حاولوا إخفاءها ، وقل من يحاول أن يخفى صفرة الخوف ، أو حمرة الخجل أو إشراقة السرور ، وكمد الحزن ، وسكون البراءة أو اضطراب الريبة [١].

ولا يخفى تأثير تلك الانفعالات على وجه الإنسان قوى الفرح انبسط القلب ، وحل ذلك فى الوجه فتراه مشرقا متلألئا ، وإذا قوى الغم انحسرت الروح ، فاصفر الوجه وأسود[٢].

وللوجه فى كلام الله تعالى وكلام العرب دلالات متعددة ، تستفاد من السياق ، فيقال : وجه الدهر : أوله ، ووجه النجم : ما بدا للك منه ، ووجه الكلام : السبيل المقصود منه ، ووجه القوم : سيدهم ، ويقال : أصاب وجه المسألة : أى ذاتها وحقيقتها.

١ــ انظر: كتاب القرائن للرازى ، تحقيق : يوسف مراد ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤٩، والذخائر لأبى حيان ، تحقيق لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٢٣/٢.

٢ــ انظر: بتصرف البحر المحيط ٥/ ٥٠٤.

وقد أبرز شعراء العربية دور الوجه فى التعبير ، فوجه سيف الدولة وضاح ، وثغره باسم ، فى قول المتنبى

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وفى القرآن الكريم آيات كريمة تظهر فيها أوصاف لملامح الوجوه أو حركتها أول ولنها مما يظهر التأثر بمواقف معينة أو سلوكيات خاصة سواء بالدنيا أو الآخرة.

فالوجه فى مجموعه يكون نظاما متكاملا فالجبهة والحاجبان والعينان والأنف والشفتان والفم ، توجد بينها علاقات متبادلة بحيث تؤدى جميعا وظيفة واحدة لا يمكن أن يؤديها عضو دون الآخر ، وتسهم فى تكوين المظهر الكلى للوجه الذى يؤدى تعابيره دورا مهما بوصفه مصدرا للبيانات المتعلقة به ، والحالات النفسية كالفرح والجزن والخوف والدهشة ، والغضب ، ولاتساع الموضوع اقتصر الحديث عن الوجه فى كتاب الله تعالى دون الأعضاء الداخلة فيه كالعينين والفم وغيرها ، وقــد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة محاور يعالج :

المحور الأول : تصوير حركة الوجه ، ويعالج المحور الثانى : وصف هيئة الوجه وشكله ، ويعالج المحور الثالث : تصوير الوجه باللون ويتبع ذلك خاتمة تظهر فيها أبرز النتائج.

المحور الأول

١ــ التصوير بالحركة :

اتخذ القرآن الكريم من تنوع حركات الوجه طرقا للابانة عن كثير من المعانى المتعددة ونلاحظ أن الحركة تظهر قد تتم وتظهر فى الدنيا وقد تتم فى الآخرة[١]، وحركة الوجه فى الآخرة أكثر من حركتها فى الدنيا.

فالوجه له تقلبات واتجاهات ، واشارات تعبر عما فى ضمير صاحبها ، وتكشف عن حالته النفسية ، سنحاول بيان ذلك فى الآيات التالية :

١ــ قال تعالى : "قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون" البقرة ١٤٤ ، ومثلة قوله :"ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون" البقرة ١٥٠ .

هذه الآية واردة فى تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه فى السماء متوجها إلى ربه دون أن ينطق لسانه بشئ تأدبا مــع الله ، وانتظاراً لتوجيهه بما

١ــ مثال ذلك صك السيدة سارة لوجهها عندما بشرتها الملائكة بالغلام وهــى عجــوز عقيم ، بينما كب الوجوه ــ السحب عليها والوجوه الناظرة أو مباشرة فكل ذلك فى الآخرة. .

يرضاه ، فمعنى التقلب هنا تحويل وجهه من جهته الأصلية ، وتردد نظره فى السماء ، وحركة التقلب توحى برغبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ القوية فى أن يوجهه ربه إلى قبلة غير التى كان عليها ، فقد كانت الكعبة قبلته وهو بمكة ، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود"[١].

ويأتى الوعد الصادق منه تعالى فى : "فلنولينك " بفاء التعقيب ؛ لتأكيد هذا الوعد بالصراحة بعد التمهيد له بالكناية "قد نرى تقلب وجهك" ، ولعل ما يلفت انتباهنا هو بلاغة التعبير بالفعل ترضاها ، وما توحى به من الدلالة على أن ميله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الكعبة لقصد الخير بناء على أن الكعبة أجدر من بيت المقدس؛ ولأن فى استقبالها إيماء إلى استقلال هذا الدين عن دين أهل الكتاب ، ولما كان الرضى مشعرا بالمحبة والقرب اختير دون تحبها أو تهواها أو نحوها[٢].

إنها صورة ترسم صورته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو ينظر فى السماء ، ويلتفت يمنة ويسرة بترقب وانتظار ، وما ينتابنا من إحساس بالفرح والسعادة باليقين بوعد الله سبحانه لخاصته وأوليائه فى "فلنولينك".

فلعل تخصيص الوجه بالتوجه مجاز مرسل من إطلاقه من الجزء وإرادة الكل فإقامة الوجه ، استعارة لإفراد الوجه بالتوجه إلى الدين بحيث لا يلتفت إلى شئ غيره ، فيظل قائما على تعاليم الدين لا يغيب عن بصره

١ــ البحر المحيط ٤٢٣/١.

٢ــ ينظر التحرير والتنوير ٢٨/٢.

وذهنه لحظة ، وفى هذا كناية عن الإخلاص فى العبادة[١]، وتوجه النفس بأسرها لله ، ومثل ذلك : "إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أن من المشركين"[٢] ، وقوله : "أقم وجهك للدين حنيفا"[٣]، ويلحظ الباحث أنا التعبير عن حركة الوجه بالتقلب بصيغة التفعل يوحى بكثرة الحركة ، لأن من رفع رأسه فى السماء مرة واحدة لا يقال فيه قلب بصره فى السماء ، وإنما يقال ذلك إذا تكرر هذا الفعل ولعل هذه الكثرة تعكس رغبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الملحة فى التحول عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم عليه السلام.

٢ــ قال تعالى : "إذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين" يوسف : ٩٣.

وقوله : "فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون" يوسف : ٩٦.

قصة يوسف عليه السلام وما حدث له مع أخوته معلومة ، وحزن أبيه عند فراقه فى قوله : "وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"[٤].

قد يكون المقصود من الآيتين الكريمتين أن يعود بصيرا ، وهذه الصورة تنقل الإحساس بالسرعة فى الفعل والانقلاب من حال إلى حال

١ــ ينظر البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسيمة ــ عبدالله هنداوى ــ ط١ سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ ــ مطبعة الأمانة ص ١٠٣.

٢ــ الأنعام : ٧٩.

٣ــ يونس : ١٠٥

٤ــ يوسف ٨٤.

أخرى ، فما أن ينفذ الشرط حتى يحصل الجواب ، وهذا الإلقاء يصور الفجاءة فى الفعل كونه خافيا شأن من يرمى شيئا فجأة وهى مقصودة وذلك لما تحدثه على مستوى النفس.

إن الصدمة النفسية تنعكس على الصحة الجسدية ، يشبه بهذا العلاج بالصدمة ، وكثيرا من العقد النفسية تفك من خلال إعادة المريض إلى أجواء الفاجعة ذاتها.

فالمقصود من يأتى بصيرا أن يعود مبصرا للتو واللحظة ، ولكن الفعل يأتى بظلاله وإيحائه فلم يكن يعقوب غائبا حتى يأتى ، ولكن حين فقد بصره أصبح كالغائب عما حوله ولا يتفاعل كما يتفاعل المبصرون ، وحين يرتد بصره فإنه يأتى من غيبته ويصبح حاضرا فهذه الكلمة تجعل المشهد يتحرك بحركة المجئ بعد الغياب.

إن التصوير القرآنى تصوير دقيق فلفظ الوجه له دلالات عديدة ، فهو عملية مركبة تقوم على اللمس والشم والحركة فينشط القلب وينتعش بالفرحة ينفذ ذلك عبر مسامات الوجه فيبدد ظلمة البصر[١].

وإذا تخيلنا صورة الإلقاء على الوجه والمقصود العينين ، وفاء التعقيب التى تجعل من الإبصار مباشرة بعد الإلقاء ، ترجع إلى حالته الأولى من البصر والسعادة والفرح.

١ــ ينظر البعد التصويرى فى القرآن الكريم / رسالة ماجستير د/كريم سعود / جامعة الجزائر ٢٠٠٥ــ٢٠٠٦م ص ٥٥.

حركة الانقلاب على الوجه :

وردت حركة الانقلاب على الوجه فى قوله تعالى :ــ

٣ــ قال تعالى :"ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين" الحج١١.

صور الله سبحانه فى هذه الآية حال المتردد فى عبادته بأنه يعبد الله على حرف ، وأصل الحرف طرف الشئ وحافته ، كحرف الجبل ، وحرف الطريق وحرف الجيش ، وأريدبه هنا تمثيل حال المنافقين المترددين فى دينهم يريدون تجربة العاقبة فشأنه شأن من يمشى على طرف الجبل أو الوادى متهيئ للسقوط ، فصورة الحركة الجسدية المتأرجحة القابلة للسقوط عند أدنى دفعة ، فالخيار يكاد بجسم هذا الحرف ويتخيل الاضطراب الحسى فى وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب على الوجه ، وإن هذه الصورة لترسم التزعزع بأوضح ما يؤديه وصف التزعزع لأنها تنطبع بالحس وتتصل بالنفس[١].

والمقصود هنا بالخير النفع العاجل الذى يرجوه من دخوله الإسلام فهو الخير الحسى الدنيوى ، ولكن يقابل الاطمئنان الطارئ بتصوير دقيق للحالة المقابلة والمؤكدة بمعنى التردد وانتفاء حقيقة الإيمان "انقلب على وجهه".

١ــ ينظر التصوير الفنى / سيد قطب / دار الشروق / ط٦ / ١٤٠٠هــ ص ٤٠ .

ان حركة الانقلاب على الوجه هنا تصور حالة نفر من الناس دخلوا الإسلام دخولا غير مطمئن ولا واثق ، إنه اسلام المنفعة الذى يقيس العقيدة بمقياس الربح والخسارة فى الدنيا ، ومن ثم فهو لا يصمد أمام الملمات ، وقد صورهم القرآن بأنهم "على حرف" أى على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه.

وإنما عبر بالفتنة مع أن الخير يقابله الشر لمعنى لطيف فلفظ الفتنة أنسب بحالهم ، لأنه ليس واثقاً بالإيمان فلو صرح بلفظ الشرلتوهم المكان يعتذر له ، فإن الطبع الإنسانى جار على النفرة مما يكره ويسوء ، ولفظ السوء دلالة صريحة على ذلك ، ولهذا جئ بلفظ أعم وأشمل ينتظم فيه الخير والشر قال تعالى : "ونبلوكم بالشر والخير فتنة"[١]، فالغرض منه الابتلاء والتمييز[٢].

والآية الكريمة كما يقول الزمخشرى : "مثل لكونهم على قلق اضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فإذا أحس بظفر وغنيمة قر وأطمأن وإلا فر وطار على وجهه"[٣].

فالانقلاب حركة حسية لكنها فى هذا السياق نازعة إلى أغوار النفس لتلتقط الانفعالات السلبية التى صاحبت حركة الفرار ، ولهذا قال سبحانه : "انقلب على وجهه" دون "انقلب على عقبيه" إذ ليس المراد الرجوع والعودة

١ــ الأنبياء : ٣٥.

٢ــ من أسرار النظم القرآنى فى سورة الحج / د. محمد على أبوزيد/ دار الأرقــم /ط ١٤٠٩/١ ص٥٠.

٣ــ الكشاف ٧/٣.

وإنما القصد الانتكاس إلى العكس ، ولا شك أن ختام الآية يجمع سوء خسرانه فى الدنيا والآخرة ، وفى هذا مزيد مبالغة فى تصوير سوء حاله فقد جمع عموم الضرر وحرمان النفع ثم حصر الخسران فى قوله : "ذلك هو الخسران المبين" تقرير لمدلوله فى الأذهان ، وهو خسران لا يمكن أن يتصوره أحد فقد جاء القصر فى النهاية لتحقيق الخبر وتقريره يعاونه ضمير الفصل "هو"[1]

وإذا تأملنا صورة من يعبدون الله على حرف رأيناهم كأنهم وقوف على حافة هاوية ، تتحرك أجسادهم لأقل ريح ، وتتعثر أقدامهم لأقل عثره، وحين نضم هذه الصورة إلى صورة من ينقلب على وجهه يتجسم مشهد هؤلاء أمامنا وقد انقلبوا على وجوههم ، لأن الأرض التى وقفوا عليها ليست ثابتة ولا مطمئنة ، فجاء التعبير بالانقلاب على الوجه هنا كناية عن الارتداد عن الدين والعودة إلى ما كانوا عليه من كفر وضلال ، وتتدرج الآية هنا فى التصور لأن الوقوف على الحرف جاء تمهيدا للسقوط والانقلاب على الوجه.

حركة الوجه فى النار:

قال تعالى : "أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون" الزمر : ٢٤.

يرسم لنا سبحانه فى القرآن الكريم صورة الكافر يوم القيامة بصورة مرعبة بالغة التأثير والنفاذ فى النفس حيث تبرزه وهو يتقى بوجهه سوء العذاب ، والإنسان عادة ما يتقى بيديه وجسمه ووجهه ؛ لأن الوجه أعز

١ــ من أسرار النظم القرآنى فى سورة الحج / ٥٢.

موضع من ظاهر البدن[1] ، أما هنا فــلا يملك أن يدفع عن نفسه النار بيديه ؛ لأنها مغلولة إلى عنقه ، ولهذا يدفعها بوجهه وتبقى به سوء العذاب.

والتعبير بحركة اتقاء العذاب بالوجه مستعمل فى الكناية عن عدم القدرة على الوقاية تهكما وسخرية [2]، وتتجسد حركة الوجه مع النار فى هذا السؤال التهكمى الساخر فى قوله ــ تعالى ــ :"أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة".

وفى الآية الكريمة حذف تقديره "كمن آمن العذاب أو كمن هو فى النعيم" وجعل الاستفهام تقريرا أو انكارا والمقصود عدم التسوية بين من هو فى العذاب ومن هو فى النعيم ، وحذف حال الطريق الآخر لظهوره من المقابلة التى اقتضاها الاستفهام فتكون الآية من الاحتباك[3].

وحين نتأمل صورة الكافر وهو يتقى بوجهه العذاب وهى صورة حقيقية حية لكنها غير مألوفة فى دنيانا ، لأن من عادة الإنسان إذا توقع مكروها يصيب جسده أو وجهه ستره بيديه خوفا عليه ، لأنه أشرف ما فى جسم الإنسان ولذلك جاء هذا التصوير موحيا بأمرين :

١ــ السخرية اللاذعة والتهكم المرير بهذا المشرك فهو لشدة ما هو فيه من الهول وما يقاسيه من العذاب يذهل عن نفسه فيدفع العذاب عن جسده بوجهه.

١ــ البحر المحيط ٤٤١/٥ .

٢ــ ينظر التحرير والتنوير ٣٩٣/٢٣ .

٣ــ ينظر الكشاف .

٢ــ عجزه التام عن دفع العذاب عن نفسه فهل رأينا إنسانا يتقى بوجهه سوء العذاب ، الإجابة قطعا بالنفى ، لكنها السخرية البالغة والترهيب الشديد من العاقبة يبرزها لنا ــ سبحانة ــ من خلال التصوير بالحركة[١]، فى هذا الموقف المقلوب الذى يطالب فيه الوجه بأن يكون هو الدرع الواقى من سوء العذاب لأن صاحبه قد ألقى فى النار مغلول اليدين ، مسلسل القدمين مقمع الرأس ، لهذا صار الوجه فى مواجهة مباشرة مع النار ، وفى هذا التصوير ما فيه من المفارقة الساخرة من محاولة صاحب هذا الوجه البائسة الذى لا يجد ما يحول بينه وبين النار إلا وجهه ، الذى كان من قبل يدفع عنه الأذى بيديه ، فلن تتحقق هذه الوقاية.

وقد أبدع البلاغيون فى حركة اتقاء الوجه بالنار ، فى قوله تعالى :"أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب" إذ يرى ابن المنير السكندرى أن الأمر فى الآية جاء على سبيل المجاز التمثيلى[٢]، شبه حال من يلقى فى النار ولا يجد ما يتقى به النار غير وجهه بحال من يتقيها بداية بوجهه ، وعبر عن ذلك بالإتقاء .

ويرى آخرون منهم شيخ زادة أن فى التعبير كناية عن استحالة الاتقاء لآنه غير متصور أصلا ، لأنه لا يمكن للوجه أن يتقى النار وهو يصطلى بها ، ويرى أيضا الشيخ فى التعبير نفسه أنه استعارة مكنية فقد

١ــ ينظر من بلاغة التصوير بالحركة ــ د/ يوسف الأنصارى ــ جامعة أم القــرى ــ موقع الجامعة.

٢ــ الانتصاف من الكشاف لابن منير الاسكندرانى على هامش الكشاف ١٢٥/٤ .

شبه الوجه بالترس الذى يتقى به ، وحذف لمشبه به ، ودل عليه بالفعل (يتقى) على سبيل الاستعارة المكنية[1].

أما أبو حيان التوحيدى فيحمل التعبير على الحقيقة ، وأنه بالفعل لم يجد حيلة يتقى بها النار غير وجهه حين ألقى فى النار مغلولا ، ويرى أن حمل التعبير على الحقيقة أبلغ لبيان كثرة ما يناله من العذاب[2].

صك الوجه :

٥ــ قال تعلى :" فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم" الذاريات :٢٩ .

هذه الآية فى بشارة الملائكة إبراهيم عليه السلام وزوجه بالذرية فى حال الكبر ، وعقر الزوجة ، وقد رصدها لنا القرآن الكريم بكل حركاتها فانطلق لسانها بما جاش فى صدرها وتملكها الذهول والحيرة استعظاما للحدث على ما جرت به العادة لا استعظامه على الله ــ تعالى ــ [3].

والتعبير بحركة صك الوجه يصور حالها من التعجب ، وكان من الممكن أن يعبر بطريق مباشر ، ولكن هل يصور ما بلغ حالها من التعجب والدهشة من هول هذه المفاجأة التى لم تكن تتوقعها فبدرت منها هذه الحركة اللاإرادية ، وهذه عادة النساء حين يتعجبن من شئ ثم ضمت إليها

١ــ ينظر حاشية محى الدين زادة ٤/٢١ .

٢ــ ينظر البحر المحيط ٧/٤٢٤ .

٣ــ ينظر قصص إبراهيم ــ عليه السلام ــ فى القرآن الكريم ــ دراسة بلاغية تحليلية ــ رسالة ماجساير د/ مها المشيطى ــ كلية الآداب ــ الرياض ــ ١٤٢٠هـــ ص ١٦٩.

قولا ينبئ عن دهشتها ، فقد علمنا التعجب من هذه الصيحة والضجة المصحوبة بالتأوه ما مقدارها وشدتها فقد علمناه من نقل مشهد الحركة وهى تضرب وجهها ضربا شديدا.

والصك على الوجه حركة تلتقى فيها اليد مع الوجه ، يعبر بها صاحبها عن دهشته وحزنه واستنكاره لآمر ما ، وغالبا ما يحدث هذا عندما يتلقى المرء خبرا مفاجئا غير سار كأنباء موت وأخبار الكوارث غير المتوقعة ويبدو هذا التصرف بصورة أكثر عند النساء وتصاحب هذه الحركة عبارات تنم عن الجزع والتعجب فتزيد الحركة من قوة الأداء اللغوى وتأثيره [١].

وقد أشار ابن جنى إلى ذلك وهو يعلق على قول الشاعر الذى يصف تلك الحركة ، وقد صدرت عن زوجته

تقول وصكت وجهها بيمينها أبعلى هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها (أبعلى هذا بالرجى المتقاعس) من غير أن يذكر صك الوجه ، لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة ، لكنه حكى الحال فقال : "وصكت وجهها" علم بذلك قوة إنكارها ، وتعاظم الصورة لها ، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله : وصكت وجهها ، لم يعرف حقيقة تعاظم الأمر بها[٢].

١ــ

٢ــ ينظر :الخصائص لابن جنى ــ تحقيق محمد على النجار ــ ط بيــروت ٢٤٥/١ ، ٢٤٦.

وواضح للمدقق فى الآية أن المرأة عبرت عن دهشتها واستنكارها بثلاثة أمور :

الأول : بالصيحة العالية والتأوه الشديد (فى صرة).

الثانى : بلطم خديها بكفيها ـــ (صكت وجهها).

الثالث: بالقول الذى جاء فى موضعين آخرين فى القرآن : "أألد وأنا عجوز عقيم" ، فى سورة الذاريات ، والثانى : "يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا" فى سورة هود.

وتجسد الحركة المصحوبة هنا بصيحة الاستنكار والخبر القولى بلاغة التصوير الحى الذى ينقلنا إلى المشهد الغابر ، أو ينقل المشهد الغاير للوقت الحاضر ، وفى كلتا الحالتين فإن الغرض البلاغى والغرض الدينى يتعانقان معا للتأثير على المتلقى فى كل العصور.

قال تعالى : "وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا" الكهف :٢٩.

لا يخفى التهديد والوعيد بتهيئة النار وإعدادها للظالمين قبل وصولهم فى هذه الآية[١].

فهى نار عظيمة تحيط بهم من كل الجهات فلا مخلص ولا مهرب ولا نجاة ولا شك أن أسوأ شئ على الإنسان فى الدنيا أن يموت حرقا لإحاطة

١ــ ينظر :روح المعانى ــ الألوسى ــ تحقيق / محمود شكرى ــ ط دار صادر ــ بيروت /١٥ ص ٢٦٧.

النار به فلا يستطيع أحد أن يخلصه وليس هناك فرجه يهرب منها فيواجه مصيره المشئوم وحتفه.

هذه الصورة تقشعر منها الآبدان ، وتدعو النفوس للنفور ، وتأتى بهم فى حجرة ليس لها باب فيها تضطرم النار من كل جهة وحدب وصوب ولهذا قال سبحانه : "أحاط بهم سرادقها ، فإن طلبوا واستغاثوا بماء ليطفئ حرارة ما هم فيه أغيثوا بما يزيدهم عذابا وشقاء كالمهل ، وهو الحديد المذاب ، ونعرف مدى امتصاص الحديد للحرارة بحيث لا يبرد مطلقا ، ويكون نزعه للجلد أشد وأقوى ، وفى هذا تهكم لاذع ، حيث إنه من فرط حرارة إذا قرب منه ليشرب سقطت فروة وجهه فما أفظع هذا الشراب الذى بلغ مبلغا شديدا فشبه الماء فى شدة حرارتة بالحديد المذاب أو عكارة الزيت والغلى ، ليكون بمثابة الماء التى يرويهم ، ولكنه يحرق وجوههم ويشويها قبل أن يقطع أجسادهم[1].

فالمشهد عنيف صاخب ، حافل بالحركة ،كلما ارتسمت هذه الصورة امام أنظارنا كانت ابلغ فى التنفير.

قال تعالى :"عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى" عبس : ١ .

وقوله فى وصف الوليد بن المغيرة :"إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبصر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر سأصليه سقر" المدثر : ١٨ ــ ٢٤ .

١ــ ينظر : البلاغة القرآنية / دراسات فى الصورة الفنية / محمد قاسم مكتبة الرشد الطائف ــ ط ٢ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

وردت الآية الأولى فى معاتبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لإعراضه عن الأعمى عبدالله بن ام مكتوم ، والعبوس من عبس الرجل إذا اقطب وجهه ، وما بين عينيه من شدة ضيق الصبر ، أو إظهارا للغضب[١].

ففى قوله "عبس وتولى " أقسى عتاب وجهه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وبين له كثيرا من الحقائق وهذا العتاب ــ مع قسوته ــ إلا أنه اشتمل على كثير مما يخففه وبين حسن نية الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بدر منه حين أعرض عن عبدالله ، وأقبل على وفد قريش يحاورهم حيث لم يسند العبوس والتولى للرسول صلى الله عليه وسلم مواجهة له بل جاء مسندا عن طريق الغيبة ، ولم يقال عبست وتوليت ، وهو مقتضى الحال ترقيقا للعتاب حتى كــأن العابس والمتولى شخص غيره ، على طريق الالتفات ، ثم أنه أبان على أن ما حدث منه صلى الله عليه وسلم لم يكن لغرض شخصى ، بل لباعث من بواعث الرسالة التى جاء بها ، وهى حرصه الشديد على هداية الناس ، فكأنه أراد ان يستميلهم بحديثه ، واقباله عليهم ، أما ابن ام مكتوم فمؤمن لا يتأثر بمثل هذه الأعمال التى بدرت منه صلى الله عليه وسلم لمصلحة دينية توقعها هو الآخر[٢].

فالتعبير بعبوس الوجه كناية عن الإعراض فى حقه صلى الله عليه وسلم

١ــ ينظر اللسان مادة عبس

٢ــ ينظر خصائص التعبير القرآنى ــ عبد العظيم المطعنــى ــ مكتبــة وهبــة ــ ط١ ١٤١٣هــ /١٩٩٢م ج١ ص٢٧٤ .

وحركة العبوس توحى بدلالات لا يمكن أن تنهض بها لفظ اخر ففى عبس تصوير لإعراضه صلى الله عليه وسلم وشدة كراهيته لمقاطعة الأعمى له ، لأنه كان مشغولا بدعوة قريش كما أن فى التعبير بـــــ "وما يدريك لعله يزكى" بضمير الخطاب من الإيناس بعد الإيحاش ، والاقبال بعد الاعراض ، ووصف ابن ام مكتوم بالأعمى ترقيق لقلبه صلى الله عليه وسلم ، والاقبال عليه ، وعذره فى الاقدام على قطع كلامه ، فهو بهذا الوصف يستحق ان يزيده تعطفا وتقربا وترحيبا [١].

وجاء العبوس فى حق الوليد بن المغيرة كناية عن التكبر والجحود ليصور شدة اعراضه وتكبره واستهزائه ، فعبس وجهه وقطب جبينه بما استعصى عليه ما يصف به القرآن الكريم عندما سمعه[٢].

وهنا تتابع حركات هذا الرجل وخطراته خطرة خطرة وحركة حركة يبرزها السياق فى صورة شاخصة حية : "إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر " لقطه وهو يفكر ويدبر ، معها دعوى هى قضاء عليه ، فقتل استنكارا كله استهزاء ، كيف قدر ، ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار ، ولقطة وهو ينظر هكذا باسرا يستجمع فكره فى هيئة مضحكة يدير بها وجهه فيقول إن هذا إلا سحر يؤثر .

إنها لمحات يصورها الله لنا فى المخيلة ، أقوى مما تثبتها الريشة فى اللوحة ، وأجمل مما يعرضها القلم المتحرك على الأنظار لتدع صاحبها محل سخرية الساخرين أبد الدهر ، وتثبيت صورته المرزية فى الوجود[١].

١ــ ينظر من بلاغة التصوير بالحركة ــ موقع جامعة أم القرى .

٢ــ ينظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٣١٠.

وبعد هذه الصورة يأتى الوعيد والتهديد فى قوله " سأصليه سقر ..." فصورة ذلك المتعالى الساخر فى سقر تحطم كبرياءه وقوته ، وجاهه يختفى فيها ذلك التعاظم فهو منبوذ مهمل محطم فى سقر التى لا ينقذه منها أحد ولا يسأل عنه أحد.

قال تعالى : "إن المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر" القمر : ٤٨.

إن تأكيد الخبر فى هذه الآيات يزيد من نبرة التهديد والوعيد ولعل جمع السعير فى سعر لتزداد قوة وشدة[٢].

والسحب الجر بعنف وقوة ، وهو حركة سريعة على وجه الأرض وهو فى حد ذاته يوحى بإهانة المسحوب تماما مثلما تجر الدواب والمواشى رغما عنها ، وتزداد الحركـــة تخويفا وإهانة لكونها تتم فى النار ، وهو أشد مـــن ملازمة المكان ، لأن السحب يتجدد معه مماسة أخرى للنار ، فهو أشد تعذيبا ونكالا.

ثم إنهم لا يسحبون قائمين رافعى رؤوسهم ، بل يلقون على وجوههم ويجرون ، وفى ذلك تحقير للأعضاء والوجوه ، ويزيد التحقير من طبيعة المكان والحركة بإتباعها بالتذييل الساخر : "ذوقوا مس سقر" فالذوق

١ــ ينظر من بلاغة التصوير بالحركة ــ موقع جامعة أم القرى .

٢ــ ينظر :التحرير والتنوير ٢٣/ ٢١٥،

مستعار للإحساس والأمر مستعمل فى الإهانة ، وليس أمر على النفس من التأنيب والتقريع فى حال الضيق والكرب[1].

قال تعالى : "يأ أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على آدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا" النساء : ٤٧.

الآية حث لأهل الكتاب بأن يكونوا أول المبادرين إلى الإيمان بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم بالكتاب ، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان بجزاء من جنس عملهم[2].

فكما تركوا الحق وآثروا الباطل وقلبوا الحقائق ، فجعلوا الباطل حقا والحق باطلا جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق.

والمقصود بالطمس المسخ والدرس ، والظاهر أن المراد به الحقيقة وليس المجاز كما يذكر صاحب التحرير [3]، بحيث يحمى تخطيط وجوههم فإن الوجه كما هو معلوم يتميز عن سائر الأعضاء بما فيه من الحواس ومظاهر الحسن والجمال ، فإذا أزيلت ومحيت كان ذلك طمسا ، وهذا تهديد قاس وعنيف ، ثم لم يكتف بمجرد محو معالم (الوجه وإزالة حواسه ، وإنما أعقبه برد الوجوه التى محيت معالمها على أدبارها لنا حية القفا ،

١ــ ينظر جماليات الحركة فى التعبير القرآنى ــ د/ صلاح ملا ــ موقع مجالس الطريق إلى الجنة.

٢ــ ينظر : تيسير الكريم الرحمن ــ عبدالرحمن السعدى ــ مؤسسة الرسالة ــ ط٤ ص ١٤٦ ــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣ــ ينظر : التحرير ٢٣/ ٢١٥.

فالتهديد الحركى بهذين الآمرين الطمس والرد على الآدبار يلزم منه تنكيس الرؤوس إلى الوراء وهى صورة قبيحة منفرة تناسب طبيعتهم ، وتناسب فعلهم الملتوى فتوعدهم سبحانه بتشويه وتغير خلقهم.

ولنا أن نتخيل إنسانا رأسه إلى قفاه ، وبدون معالم ، لا شك أن ذلك منظرا يثير الرعب والخوف.

ويمكن أن يكون طمس الوجوه عاجلا بأن يسلط الله عليهم ما يفسد به محياهم ، فإن قدرته صالحة لذلك ، فقد مسخ الله بعض أسلافهم قردة وخنازير ، وهما أقبح حيوانين فى الشكل[١]، وهذا هو الظاهر من التخيير فى قوله : "أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت" ، فأصحاب السبت مسخهم الله قردة وخنازير قال تعالى : " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين"[٢].

قال تعالى : "من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون" النمل : ٩٠.

مما يزيد التصوير جمالا تلك المقابلات التى ترسم أمام القارئ لصورة أهل الإيمان وأهل الشرك.

ولعل ذلك واضح فى هذه الآية فمن عمل الصالحات كان لهم الجزاء المضاعف فى الأخرة ، وإضافة إلى ذلك وهم من فزع يوم القيامة آمنون ،

١ــ ينظر البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسمية ص ١٠٣.
٢ــ البقرة : ٦٥.

فالأمن والاطمئنان النفسى وارتياح القلب أهـــم ما يميز المؤمنون يوم القيامة ، ولهذا ينعكس الإطمئنان النفسى الروحى على الجسد فيضئ ويشرق.

وعلى النقيض من جاء بالسيئة فكبت ، والكب هو إسقاط الشئ على وجهه[١].

والحركة هنا مفزعة والجزاء من جنس العمل ، فقد نكسوا أعمالهم وعكسوها بعبادة غير الله ، فوضعوا الشئ فى غير موضعه ، فعظموا ما حقه التحقير ، واستهانوا بالعلى الكبير ، وكان الوجـــه هو محل الحياء والانكسار ، وقد أظهروا فى الوجوه التجهم والعبوس والارتداد ، كان جزاؤهم الانكباب على وجوههم فى النار[٢].

وآثر ذكر الوجوه دون الرؤوس أو الأعناق لأن الوجه أشرف ما فى الأنسان فإذا طرح فى النار يكون غيره من بقية الأعضاء مطروحة من باب أولى[٣].

يقول سيد قطب : "وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت الحركة التى تتم بها من تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم [٤]، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه.

١ــ ينظر :المفردات مادة كب.
٢ــ ينظر :البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسمية ص ٩١.
٣ــ التصوير الفنى / ٧٧ ، وفى ظلال القرآن ٥/ ٢٦٥.
٤ــ ينظر نظم الدرر ٥/ ٤٥٦.

قال تعالى : " وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار" إبراهيم : ٥٠.

إن صورة أهل النار وقد ربطوا بسلاسل وغلت أيديهم وأرجلهم إلى أعناقهم ومقرونين مع شياطينهم ويقادون للعذاب صورة بشعة وشنيعة.

وقد ذكر الزمخشرى أن القطران هو ما يتحلب عن شجر يسمى الأيهل فيقطع فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته على الجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ، ومن شأنه أن يسرع فيه إشعال النار ، وقد يستسرج به ، وهو أسود اللون منتن الرائحة ، فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ، وهى القمص لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته ، واسراع النار فى جلودهم ، واللون الموحش ، ونتن الريح[١].

وذكر د/ محمد العطيفى أن من دقة التعبير وبلاغة المعنى إذا علمت أن القطران مادة كيميائية عندما يكون ساخنا يلتصق بالجلد بحيث تصعب إزالته ، وقد يؤدى الاستعجال بإزالته إلى ضرر أكثر من الضرر الذى يصيب الإنسان من القطران الساخن نفسه ، ولهذا قال سبحانه سرابيلهم من قطران وهى ملابس ضيقة تلتصق بهم وتصعب إزالتها[٢].

ثم إن هيئة الغشيان أدخل فى الحسية من الوصف بالإحاطة[٣].

١ــ ينظر الكشاف ٢/٥٦٧.

٢ــ ينظر الحروف فى القرآن د/ محمد العطيفى أستاذ الجراحة ــ جامعة أسيوط موقع الهيئة العالمية للإعجاز القرآنى والسنة.

٣ــ ينظر التصوير الفنى/ ٦٨.

فى هذه الصورة تجتمع السلاسل والأعناق والسرابيل الملتصقة بهم لتزيدهم عذابا يعلوها ما هو أشد وهو غشيان النار وجوههم وكما قلنا أن القطران مادة تسرع فيها اشتعال النار فيكون ذلك أشد إيلاما.

ولعل ذكر الغشيان ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحيانا ليتضاعف عذابهم بالخزى على رؤوس الأشهاد [1]، وفى اختيار الفعل المضارع ما يجعل الصورة حاضرة فى الذهن مرة بعد مرة ، وليتجدد الغشيان حالا بعد حالا ، وإذا علمنا أن الحروق هى أشد أنواع الجروح وأبلغها علمنا الحكمة من التعذيب بالنار.

قال تعالى : "ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق " الأنفال : ٥٠.

وقوله فى سورة محمد : "فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم" محمد : ٢٧.

إن الرؤية والمشاهدة متحققة من حرف الشرط "لو" فتبدأ ساعة العذاب من لحظة الموت ، وقبض أرواح الكفرة ، وقد اشتد كربهم ، وعظم خطبهم ، فيستعيض سبحانه من الوصف بالحركة والتصرف بضرب الوجه والدبر ، وإنما خصت بالضرب ، لأن الخزى والنكال فى ضربهما أشد[2].

١ــ ينظر روح المعانى ١٣/ ٣٥٧.

٢ــ ينظر الكشاف ٢/ ٢٢٩.

ولعل العلة فى الضرب أن الملائكة تقول لهم : أخرجوا أنفسكم ، ونفوسهم ممتنعة ، مستعصية لعلمها ما أمامها وما ينتظرها من العذاب الأليم ، ولذلك تؤخذ بنزع شديد وقوة بالغة[١].

وقد أخبر سبحانه فى آية أخرى أن الضرب بمطارق من حديد بقوله : "ولهم مقامع من حديد"[٢] ، كلما ضربوا بها التهبت بهم النار فكانت أشد وأقوى ، ولعل القول مما يزيد التعذيب والقهر ، فليس أنكى من تأنيب المكروب ، فإذا علمنا أن الذوق يكون فى المطعومات المستلذة غالبا ، أدركنا مقدار التوبيخ والاستهزاء والسخرية ثم إنه قليل من كثير فهو مقدمة كالنموذج للذائق وبهذا يكون القول مبالغة[٣].

فهل نستطيع أن نتصور لحظات موت الكفرة ؟! نسأل الله تعالى أن يحسن لنا الخاتمة.

قال تعالى : "إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا" الأحزاب : ٦٤ ــ ٦٨.

أتبع لعن الدنيا وخزيها بلعن الآخرة ، فكانت لعنة الدنيا بالأخذ والتقتيل ، ولعنة الأخرة مقترنة بالسعير ، ولقد جئ بالفعل الماضىلتحقيق الوقوع فلا يجدون مخلصا ولا وليا ولا نصيرا.

١ــ ينظر : تيسير القرآن الرحمن / ٢٨٤.

٢ــ الحج : ٢١

٣ــ ينظر : روح المعانى ١٧/١٠.

ومعنى تقلب وجوههم فى النار ، تقلب ملائكة العذاب وجوه الكفرة بغير اختيارهم ، ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما يقلب الشواء على النار ، لتنضج على سواء ، ولو كان لفح النار مقتصرا على أحد جانبى الوجه لكان للجانب الآخر بعض الراحة وهذا غير مراد.

ثم إن تخصيص الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء ، لأن حر النار يؤذى الوجه أشـــد مما يؤذى بقية الجلد ، لأن الوجوه مقر الحواس الرقيقة ، العيون والأفواه ، والمناخر[١].

وفى تضعيف العين فـــى الفعل تقلب للدلالة على كثرة الحدث وتكراره ، كما أفاد حرف الظرفية "فى" دون على دخولهم فى النار فهم ليسوا فوقها كما فى الشواء ، أو على طرف منها ، بل النار تغشاهم من كل جهة ، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها ، والحرص على أن تصل النار إلى كل قسم من قسمات وجوههم زيادة فى النكال[٢].

ثم تزداد الصورة وضوحا بإظهار الحسرة والندم ، فهذه الجماعة المجتمعة فى الدنيا متناكرة اليوم متدابرة يملى بعضهم لبعض ضلالا.

لا شك أننا أمام صورة تخاصم كما لو كان حاضرا نشهد الحوار ونسمع صوته ، تلك هى صورة النار ، وصورة الحوار ، والخصام فيها ، فهل يحس القارئ أن هذا مستقبل بعيد ، أم واقع حاضر ومشهود.

١ــ ينظر التحرير ٢٢/ ١١٦.

٢ــ ينظر التصوير الفنى / ٥٥ .

قال تعالى :"الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا" الفرقان :٣٤ .

وقوله :"ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبث زدناهم سعيرا" الإسراء : ٩٧ .

يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال : الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم"[١].

إن هذا المشهد الحى الشاخص المتحرك يجعلنا امام جماعة يمشون على وجوههم صما وبكما وعميا ؛ لأن الوجوه هى مجمع الإدراك والحواس ولعل الختم على أفواههم وسمعهم وأبصارهم من قبيل المجاز على أنهم لفرط الحيرة والذهول كما كانوا فى الدنيا لا يبصرون الآيات ولا يسمعون الحق ولا ينطقون[٢].

ولعله سبحانه يرد عليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى تعالى عنيهم فى غير هذا الموضوع قال سبحانه :"يوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ..." [٣].

١ــ أخرجه مسلم / كتاب صفة القيامة والجنة والنار / ٨٠٦م .
٢ــ ينظر روح المعانى ١٥ / ١٧٦ .
٣ــ يس : ٦٥

وقال :" يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم..." [1].

وتزداد الصورة تحركا بقوله :"كلما خبت زدناهم سعيرا" فهو يتكرر ويتجدد معه العذاب مرة بعد مرة وحينا بعد حين فلا يموت ولا يحيا فكلما سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم فلم يبق منها شيئا تضطرم به أبدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، وتستمر الحركة بحيث إذا لم يبق للنار ما تتعلق به وتحرقه زدناهم لهبا بأن أعدناهم على ما هم عليه فاستعرت النار وتوقدت من جديد ، عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرر العذاب مرة بعد مرة ليروها عيانا حيث لم يروها برهانا ، ولذلك عبر بزدناهم دون زدناها.

قال تعالى :"لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون" الأنبياء:٤٠ .

إن هؤلاء المشركين الذين يستعجلون العذاب ويسألون عن هذا الوعد بعذاب الآخرة ، يرسم لهم القرآن مشهدا حركيا يحذرهم فيه فهاهم تغشاهم النار من كل جانب فيحا ولون فى حركة مخيلة أن يكفوا عن وجوههم وعن ظهورهم ، ولكن هيهات لا يستطيعون لأن أيديهم مغلولة ، وكأنما تتلقعهم النار من كل جانب فلا يستطيعون ردها ولاهم يؤخرون عنها ولاهم يمهلون إلى أجل قريب وهذه المباغتة جزاء الاستعجال[2].

١ــ النور : ٢٤

٢ــ ينظر فى ظلال القرآن .

إن مباغتة النار لهم تذهل عنها العقول ، وتشل الإرادة ، وتعجزهم عن التفكير والعمل وتحرمهم مهلة الانظار ، والتأجيل فسرعة النار الخاطفة التى تباغتهم وتفاجئهم كلما أرادوا أن يصرفوها عنهم إن هذه الصورة الحسية الحركية تقشعر منها الأبدان ، ونحن نتخيل مباغتة النار ومهاجمتها لهم على حين غرة ، نسأل الله أن يعيذنا منها.

قال تعالى :"تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون" المؤمنون : ١٠٤ .

هذه الآية واردة فى سياق طويل يتخلله الوصف والمشهد المتحرك والحوار يقول سبحانه:" حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آيتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا أمنا فاغفر لنا وأرحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسأل العادين قال إن لثتم إلا قليلا لو أنكن كنتم تعلمون أفحسبتم أنا خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون". المؤمنون :

ما أجمل ما وصف به سيد قطب هذا المشهد الذى يبدأ بساعة الاحتضار وينتهى هناك عند الحساب.

إنها التوبة عند مواجهة الموت ، وطلب الرجعة لتدارك ما فات ، وإصلاح ما ترك ، وكأنما المشهد معروض اللحظة ، للأنظار مشهود كالعيان ، ولكن الرد لا يوجه لصاحب الرجاء وإنما يعلن على رؤوس الأشهاد.

إنها كلمة الموقف الرهيب لا كلمة الإخلاص المنيب كلمة فى لحظة الضيق ليس لها فى القلب رصيد وبها ينتهى مشهد الاحتضار إذ الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعها فلقد قضى الأمر وانقطع الرجاء ، وأغلقت الأبواب.

ثم يستطرد السياق بعرض ذلك اليوم الذى تتقطع فيه الصلات ، ويشملهم الهول بالصمت فهم ساكون لا يتحدثون ولا يتساءلون ويعرض ميزان الحساب ، وعملية الوزن فى سرعة واختصار ، وعملية الوزن بالميزان تتم على طريقة القرآن فى التعبير بالتصوير وتجسيم المعانى فى صور حسية ومشاهد ذات حركة ، ومشهد لفح النار للوجوه حتى تتشوه هيئتها أو يتكدر لونها ، فآثار الحروق البليغة يظهر فى كلمة "كالحون" فالشفاه مشوهة قد التصقت بالأذقان[1].

إنه مشهد مؤذ أليم حين يخسر الإنسان نفسه التى بين جنبيه ، فكأنما لم يكن له وجود ، وهنا يعدل عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة ، فإذا العذاب الحسى على فظاعته أهون من التأنيب والخزى الذى يصاحبه ، وكأنما نحن نراه اللحظة ، ونشهده فى حوار

١ــ ينظر الحوف فى القرآن ، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم.

طويل ، وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة[1] ، ثم يزجرون زجرا عنيفا قاسيا : "قال اخسئوا فيها " سكوت الأذلاء المهانين.

قال تعالى : "أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم " الملك : ٢٢

تصور الآية الكريمة حال المؤمن الكافر ، فالتعبير بالكب هنا فيه دقة بالغة ، لأن الكافر فى الدنيا أكب على معاصى الله فكان جزاؤه من جنس عمله ، وفيه دلالة على انقلاب الفطرة ، ويجوز أن يراد بالمكب على وجهه : الأعمى الذى لا يهتدى إلى الطريق ، فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر.

وإيثار لفظ سويا دون مستويا ليكون اسم فاعل من استوى للدلالة على الاستواء الحسى ، وهو الاعتدال ، والمعنوى هو سلامة آلات الإدراك من أى خلل أو مرض قال تعالى : "خلقك فسواك فعدلك" فلو اتى بلفظ مستويا لأوهم أن المراد اعتدال الخلقه على الصراط المستقيم فقط ، وإنما لفظ ســـويا يوحى باعتدال الخلق والخلق ، واستقامة الفطرة مع الدين الحق ، والصراط المستقيم هو أقرب طريق موصل للغرض المقصود ، فوصفه بالمستقيم دليل قربه ، لأن الخط المستقيم أقرب خط فاصل بين نقطتين ، وكلما تعوج طال وبعد وصوله للمقصود ، والمقابلة ظاهرة فى الآية بين الكافر والمؤمن ، وبين الألهة الكثيرة والإله الواحد ، والمنقلب والمعتدل ، والطريق الملتوى ، والطريق المستقيم.

١ــ ينظر فى ظلال القرآن ٥/٢٤٥ ــ ٢٤٦.

ونلحظ فى لفظ "أهدى" أفعل التفضيل مشتق من الهوى ، وهو معرفة الطريق ، فيكون من باب الكلام المنصف الذى يترك النظر والاجتهاد لمعرفة الحقيقة ، ويعين على ذلك تصدير الآية بالاستفهام المجازى المفيد للتقرير ، وإيثار الوجه ، لأن فيه منافذ الإدراك من السمع والبصر والعقل ، فإذا انكب لا يدرك ما أمامه أو خلفه ؛ لأن وجهه أصبح ملاصقا للأرض فلا يقدر على المشى أو الاهتداء إلى جهة يسلكها[١].

وليس الأمر فى حاجة إلى جواب إنما هو سؤال التقرير ويتوارى السؤال والجواب ليتراءى للقلب هذا المشهد الحى الشاخص المتحرك ، مشهد جماعة يمشون على وجوههم ويتعثرون وينكبون ، لا هذف لهم ولا طريق ، ومشهد جماعة تسير مرتفعة الهامات مستقيمة الخطوات فى طريق مستقيم لهدف مرسوم[٢].

وجاء التعبير بـــ (صراط) مفردا بدل الجمع للإيحاء بأن الذين يسلكون هذا الصراط يتميزون بعقيدة الإفراد والتوحيد لله سبحانه وتعالى ، وبأن الصراط الواحد لا يكون إلا للمعبود الواحد ، ولهذا فإن القرآن الكريم يحذرنا فى آية أخرى من السبل المتفرقة (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام : ١٥٣، "ويدعونا إلى صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض" الشورى : ٥٣.

١ــ ينظر البلاغة القرآنية فى أشارة والحركة الجسمية / ٩١.

٢ــ ينظر جماليان التصوير فى سورة الملك ــ مجلة الدراسات العربية ــ كلية العلوم ــ عدد ٢٥ يناير ٢٠١٢ ــ ص ٢١٤٦.

المحور الثانى

التصوير بوصف الهيئة والشكل

رأينا فى المحور السابق وجوه الكافرين وما يصيبها من لفح وكب وكبكبة وتقليب وسحب ، ولكن وجوه المؤمنين فى الجنة ناضرة تكسوها النضرة وبعلوها الحسن.

وقــد قابل سبحانه وتعالى بين صور وجوه الأخيار البررة يوم القيامة ، والكفرة الفجرة :

١ــ قال تعالى : "وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" القيامة ٢٢ــ ٢٥.

٢ــ وقوله تعالى " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة".

٣ــ قال سبحانه : "هل آتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيهاا راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة" الغاشية ١ــ ١٦.

فقد بدت مظاهر الفرح على وجوه المؤمنين فأشرقت واستنارت لأن أصحابها مسرورون بنجاتهم من هول الصاخة ، مطمئنون أن ربهم سينا لهم برحمة منه ، فانعكس هذا السرور وذلك الاطمئنان على صفحات وجوههم فهى ضاحكة مستبشرة لأن كل ما حولها من النعيم والتكريم يدعو

إلى السرور والبشر والتفاؤل ، والضحك والاستبشار مظهران من مظاهر فرحة النفوس ، وفى المقابل نرى وجوها مغبرة يعلوها سواد وظلمة ويغشاها كدر وانقباض ، وهذه الملامح الحسية المرسومة على تلك الوجوه تنبئ عن الحزن القائل والخيبة والحسرة التى يحس بها أهلها.

ومثل ذلك "وجوه يومئذ ناضرة... وجوه يومئذ باسرة..." ولعل ما يزيد النعيم النظر إلى الله جل وعلا ، وهى لحظة تعجز الكلمات عن وصفها فيعجز الإدراك من تصورها بكل حقيقتها.

أنه النظر إلى وجهه سبحانه فأى رفعة ، وأى شرف ، وأى سعادة ، إن الإنسان ليستمتع أحيانا بما أبدعه الله فى خلقه من جمال الطبيعة والماء والخضرة فيبدو ذلك على قسمات وجهه فكيف إذا رأى خالق هذا الإبداع صاحب الجلال والجمال والكمال ليرتقى فى سلم السعادة ، وعالم النور الفائض بالأنس والبشر ، إن العقل والقلب لا يكاد يتصـــور ذلك اللقاء ، وتلك النعمة التى لا تفوقها نعمة.

ولنا أن نتصور هذه الوجوه الكالحة البائسة المنقبضة التعيسة المحجوبة عن النور والسعادة عليها البسر والتعاسة يتوقع فى كل لحظة الكارثة والقاصمة للظهر وهى من التوقع والتوجس فى كرب وتنغيص.

وتأتى المقابلة الثالثة فى سورة الغاشية فى سياق طويل بين النعيم المقيم والحريق الدائم فى صورة متحركة شاخصة فتبدأ الآيات بالاستفهام المقرر المؤكد لحقيقة الغاشية والداهية التى تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها ، وهى من الأسماء الموحية التى يذكر بها وينذر ويبشر بها الضمائر الحساسة والتى تخشى وتتقى كما تثير الرجاء والارتقاب والتطلع.

ثم يبدأ سبحانه بوصف مشهد العذاب قبل النعيم فهو أقرب لهول الغاشية وجوها وظلها فهناك وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة عملت ونصبت فلم تحمد العاقبة ، ولم تجد إلا الوبال والخسارة فزادت مضضا وإرهاقا وتعبا فهى عاملة ناصبة عملت لغير الله ، ونصبت فى غير سبيله ثم وجدت الشقاء الابدى والسواد المقيم الذى يجرها إلى العذاب الأليم تجر وتواجه وهى ذليلة خائبة الرجاء ، ولا أقصى ولا أشد من اجتماع الذل والوهن من لسع النار الحامية من التروى بالماء البالغ الحرارة والتغذى بالشوك من مجموعة هذه المشاهد تتجمع فى حسنا وادراكنا أقصى درجات الألم وأشد حالات العذاب[1].

وعلى الجانب الآخر وجوه يبدو فيها النعيم ويفيض منها الرضى وجوه تنعم بما تجده وتحمد ما عملت فوجدت عقباه خيرا ، وتستمتع بهذا الشعور الروحى الرفيع ، شعور الرضى حين رضى الله عنهم وأرضاهم فهى وجوه ناعمة ، وإنما جاء الوصف بالنعومة لبيان حالة الترف والراحة والطمأنينة القلبية التى ظهرت آثارها على الوجوه فدلالة الوجه جاءت فى ابهى صوره ، وأبلغ وصف وأعظم رونق لتوصل المسامع تمثيلا مصورا نادرا يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله أو مجاراته ، ثم إن النعومة تعطى معنى الترف فالإنسان المترف لا يكد ولا يشقى فتؤثر عليه الشمس بحرارتها مع كثرة العمل والكد فالوجه الناعم دلالة واضحة على النعمة والحياة الهانئة .

١ــ ينظر فى ظلال القرآن ٣٠ / ٣٨٩٦ .

وقد ساهمت البنية الإيقاعية للنصوص السابقة بتصوير هذه الوجوه والانفعالات بجرسها الذى يلقيه التعبير بالنفس إذ أن الجرس فى آى النعيم سلس يواتم بسلاسته همس الحروف وذلاقتها فى حين يتميز الجرس فى آى العذاب بالشدة والثقل ليعبر عن المشاعر النفسية الاليمة الحزينة التى لابست قلوب الكفرة ، ويتضح هذا التباين النغمى جليا فى فواصل الآى وقدرتها على تلوين الكلام بما يتناسق مع البسط والفرصة (مسفرة ــ مستبشرة ــ ناعمة ــ ناضرة) فتوحى بانبساط وراحة نفسية للمؤمن بينما توحى الفواصل المختزلة ذوات القبض فى الصيغة (غيرة ــ فترة ــ فجرة ــ خاشعة ــ ناصبة ــ باسرة) بشئ من التوجس والكدر النفسى الذى يعانيه هؤلاء[١].

٢ــ يقول سبحانه :"تعرف فى وجوههم نضرة النعيم" قال ابن كثير تعرف إذا نظرت إليهم نضرة النعيم أى صفة الترف والحشمة والسرور والنعمة بما هم فيه من النعيم العظيم[٢].

وقال ابن عاشور :" هى حسن الوجه من اثر النعمة والفرح وكنى بنضرة النعيم فى الوجوه عن فرح أصحابها ونعيمهم ، لأن ما يحصل فى النفس من انفعالات يظهر أثرة"[٣].

فهم فى هذا النعيم ناعمو النفوس والأجسام تفيض النضرة على وجوههم وملامحهم حتى ليراها كل راء [١].

١ــ ينظر فى ظلال القرآن ٣٠ / ٣٨٩٧

٢ــ ينظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٨٩

٣ــ التحرير والتنوير ١٦ / ٢١

فينبعث لكل من يشاهدهم هذه النضرة الموحية التى ارتسمت على وجوه الأبرار ، من شعور نفسى عميق بالإكرام والإجلال والتعظيم فالوجوه تتهلل بشرا إذا أحس أصحابها براحة الشعور ، وهدوء الضمير ، وسكون وطمأنينة ، فهم على الأرائك منعمون إننا فى الآخرة لا نخطئ التعرف على هذا الفريق المؤمن فى الجنة فهم أبرار مطهرون متكئون على الأرائك تراهم فتعرفهم من (نضرة النعيم) وبهجة التنعيم وماؤه ورونقه فى وجوههم .

وإضافة (نضرة) إلى (النعيم) إضافة السببية فالمضاف إليه وهو (النعيم) سبب فى المضاف وهو (النضرة).

ونلاحظ أن أوصاف الوجوه السابقة وردت كلها بصيغة اسم الفاعل (ناضرة ــ مسفرة ــ ضاحكة ــ مستبشرة ــ ناعمة ــ راضية) ولم تأت بصيغة الفعل ، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى أن اسم الفاعل يدل على الثبوت والدوام بينما يدل الفعل على التجدد والانتقال ، وبما أن نعيم الجنة خالد ودائم فقد ناسب التعبير باسم الفاعل ، وقد اشار عبدالقاهر الجرجانى إلى ذلك وهو يوضح الفرق بين قوله تعالى :"وكلهم باسط ذراعية بالوصيد" وقوله :"وكلهم يبسط ذراعية بالوصيد" ويتضح لنا من جلال التعبير باسم الفاعل ملمح آخر وهو أن المؤمنين الذين وصفت وجوههم بهذه الأوصاف (ناضرة ، ناظرة) كأنهم فاعلون لها بأنفسهم لما فعلوا فى الدنيا ما يستوجبها فى الآخرة .

١ــ فى ظلال القرآن ٣٠ / ٢٨٥٩

واللافت للنظر أيضا أن تلك الأوصاف الجميلة وردت كلها متقابلة مع اوصاف وجوه الكافرين فى الآيات اللاحقة أو السابقة فوجوه المؤمنين ناضرة ــ مسفرة ــ ضاحكة ــ مستبشرة ــ ناعمة ــ راضية ، أما وجوه الكافرين فهى باسرة ــ عليها غبرة ــ ترهقها قترة ــ .... وسوف يبرز ذلك جليا عند الحديث عن الآيات التالية .

٣ــ قال تعالى :"وإذا تتلى عليهم آياتنا تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قـــــل أفأنبئكم " الحج آية ٧٢ .

المقام الدال هنا على هيئة الوجه إنما هو مقام غضب وغيظ وحنق على المسلمين الذين يتلون آيات الله عليهم ، وقد دل عليه هيئة الوجه من عبوسه وتقطيبه ، فالمولى عز وجل صور مدى غضبهم وغيظهم فى صورة نشاهدها على وجوههم ، ونعرف منها ما تدل عليه داخل نفوسهم ولهذا قال :" المنكر" وهى اسم مفعول بمعنى المصدر "الإنكار" وفى التعبير به دلالة على معرفة عين الشئ ،والمنكر ليس مجرد الإنكار على وجه الإطلاق ، فاسم المفعول يدل على حدث وذات ، ويترقى الإنكار الذى يعرف فى وجوههم إلى مقاربة البطش بالمسلمين يقال : سطا يسطو إذا بطش فبكاد يترجم إلى واقع فعلى[١].

١ــ البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسمية د/ عبدالله هنداوى ص٩٤.

ولا نغفل عما وراء التعبير بحرف "فى" ففيه إشارة إلى تمكين هذا الأمر من نفوسهم ، ومداخلته لهم ، وما يعرف ويرى من قسمات وجوههم من تعبيرات وإشارات تنبئ عن مطوى ضمائرهم ، ومستكن نفوسهم[١].

فالوصف القرآنى هنا ينهض برسم المظاهر الشكلية الخارجية لوجوه الكفار الذين يضيقون بالاستماع إلى كلام الله فتبدو وجوههم مسودة كالحة منكرة تنبئ عن الحقد الدفين ، والبغض المكنون تفيض أرواحهم بروح الانتقام ونزعة القهر[٢].

ومما يدخل فى سياق نظائر التصوير بالهيئة والشكل ما يظهر على الوجوه من علامات الذلة والخضوع والخشوع والشقاء والنصب وبخاصة على الكفار والعصاة الذين تظهر على وجوههم علامات هذا الذل كما فى قوله تعالى: "وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما " طه ١١١.

هذه الآية واردة فى بيان جلال الله وعظمته وهيبته سبحانه يوم القيامة ، وحالة الذل والخشوع له فقد قال سبحانه : "يؤمئذ يتبعون الداعى لا عوج له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت ..." طه ١٠٨ــ ١١٠.

١ــ ينظر أسرار النظم القرآنى فى سورة الحج د/ محمد على أبو زيد ــ دار الأرقم ط١ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ص١٩٦ .

٢ــ ينظر تصوير الانفعالات النفسية فى القرآن ــ مجالس الطريق إلى الجنة

بعدما ذكر سبحانه حال القيامة يخيم الصمت الرهيب ، والسكون الغامر لجلال الله وهيبته ، وتغمر الساحة التى لا يحدها البصر رهبة وصمتاً وخشوعاً ، فالكلام همس والسؤال تخافت والخشوع ضاف ، والوجوه عانية [١]، فعنت الوجوه استسلام وخضوع [٢]، وهى صيغة وحيدة فى القرآن من عنا يعنو [٣]،وهى عند الراغب الخضوع مع النصب بالعناء[٤].

فالحالة الجسدية الموصوفه فى هذه الآيات ذات دلالة عميقة بليغة الأثر يحفها الجلال والعظمة ، فذكر الوجوه من ذكر الجزء وإرادة الكل وإنما أسند العناء للوجوه ، لأن الأسير ترهقه ذلة فى وجهه على سبيل المجاز العقلى[٥].

فالوجوه كلها خاضعة مستسلمة ذليلة ، والكل بانتظار المصير والحساب ، فالوجوه تعبر عن الألم الذى ينتابها ، والأمل الذى يستشرفها ، وهيهات أن يرسم أحد هذا الموقف كما رسم لنا فى القرآن الكريم.

٥ــ قال تعالى :"محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع

١ــ ينظر فى ظلال القرآن ٢٣٥٢/١٦ .

٢ــ معانى القرآن للفراج .

٣ــ الإعجاز البيانى للقرآن ــ عائشة عبدالرحمن ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ بــدون ص٤٩٦ .

٤ــ المفردات فى القرآن مادة عنو .

٥ــ ينظر التحرير والتنوير٣١١/١٦ .

أخرج شطأه فآزره فاستغلظ واستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما " محمد : ٧٩.

مدح الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين معه بالقوة والشدة على الكفار ويقابله : رحماء بينهم ، متآلفة قلوبهم تجمعهم المودة والحب والرحمة ، وقد بين الله صفتهم وهيئتهم تراهم ركعا سجدا فقد مدحهم بكثرة العبادة ، والصلاة هى أحب الأعمال إلى الله تعالى يرجون ثوابه ورضوانه وفضله ولهذا ظهر آثار هذه الصلوات بركوعها وسجودها على جباههم فاستنارت وجوههم[١].

وقيل هو ندى الطهور وتراب الأرض[٢] الذى بدا على وجوههم.

ولعل هذه العبارة أصبحت مألوفة لنا من كثرة تكرارها فكلما رأينا وجها منيرا تبدو عليه ملامح الإيمان والتقوى قلنا هذه العبارة ، أى أن السمة تظهر على الوجه ' وهذا ما تشعر به ، فهؤلاء الذين اعتادوا السجود وهو الركن الذى يظهر فيه الخضوع والذلة والانكسار والقرب منه سبحانه[٣] ، ووالله إننا لنجد هذه العلامة والنور والوضاءة فى وجه المؤمن المحافظ على صلاته حتى ولــو كان أسود اللون ، فى وجهه ولحيته

١ــ ينظر لغة الجسد فى القرآن الكريم ــ أسامة جميل ربيعــة ــ جامعــة النجــاح ــ فلسطين ٢٠١٠ ص٦٠ .

٢ــ ينظر تفسير أبو السعود ــ دار إحياء التراث ــ ط١ ــ ١٤١١هـــ/١٩٩٠م ج٨ ص١١٤ .

٣ــ ينظر موقع عبدالدائم الكحيل للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة .

وهيئته ، وعلى النقيض نرى سيماهم فى وجوههم من أثر الجحود حتى لو كان مترفا منعما فأثر المعاصى تبدو على وجهه وهيئته .

وقد شبههم الله بصورة الزرع (فماذا ترى فى هذا الزرع ، إنه لا يصبح هشيما مطلقا ولا تذروه الرياح أبدا ، إنه ليخيل إليك أنه ثابت هنا فى مكانه ، قار فى منبته ، خالد فى موضعه ، وحدة العرض هنا دائمة ، والنظر ثابت حتى تتحول عنه العين ولا يتحول هو عنها ، وذلك هو الهدف المقصود ، وهذا الثبات طريقة من طرق التطويل) [١].

ومن الدقائق اللطيفة فى هذا التمثيل أن الصورة العامة تسير على طريق الإطالة ، ولكن الأجزاء الأولى تتم فى سرعة متعاقبة "كزرع أخرج شطأه" فـــ (آزره) فـــ (استغلظ) فـــ (استوى) فقد تم الغلظ والاستواء فى مدى قصير ، ثم ثبت بعد ذلك وقر ، إن الإسراع الأول مقصود كالاستقرار الأخير فى تصوير حال المسلمين يتم نموهم ثم يستقر وضعهم أبدا[٢].

٦ــ قال تعالى :"فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون" الملك

وقوله:" إذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا " الإسراء

١ــ التصوير الفنى / ١١٠

٢ــ المرجع السابق الصفحة نفسها

تصوير لمشهد عظيم من مشاهد الآخرة حين يصف الله لنا مشهدا مهولا يوشك أصحابه على لقائه ليتحول من السطور إلى الواقع المعاين ، والإتيان بالفعل الماضى"رأوه" يصور الأمر كإنه مر وانقضى[١].

وهذا هو وقت معاينة الكفار للعذاب حين اقترابه ، وربما فى بعض الأحوال يكون اقتراب الشر أسوأ من وقوعه وأى هول ورعب يعتملان فى النفس حين يرى على الوجه الخزى والرعب وترقب العذاب [٢]، إن هذه الوجوه المتغطرسة المتكبرة المستعلية بالباطل ينظر إليها نظر المعاين حين فاجأها العذاب وهى على غير استعداد وتهيؤ[٣].

ولو أردنا تعيين نوعية السوء فى وجوههم لكان أمرا هينا إنه السوء الذى يبدو فى وجه من يساق إلى العذاب والذل والهوان والشقاء الأبدى فالصورة ترصد حركتهم البادية على وجوههم ، وهذا هو الصدق الفنى الواقعى فقد أثبت علماء النفس من خلال التجارب أن الانفعالات النفسية تصاحبها مظاهر جسمية خارجية تبدو على قسمات الوجه، وملامح العين ، ونبرات الصوت ، وحركات الجسم ، وهذا وصف دقيق يجعل الصورة أقدر على تقريب المعنى إلى الذهن ، وأدعى لإثارة الخيال.

ولا شك أن صورة سيئت وجوههم تجمع كل هذه الحالات النفسية وانعكاسها على الوجه فهى مغبرة ، يعلوها سواد وظلمة ، وكدر وانقباض

١ــ ينظر التصوير المجازى والكنائى ــ صلاح الدين محمد أحمد ــ مكتبة سعيد ــ مصر ــ ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص٨٥ .

٢ــ ينظر من جماليات التصوير فى سورة الملك ص٢١٦٥ .

٣ــ معانى الحروف للرمانى ــ تحقيق عبدالفتاح شلبى ــ مكتبة الطالب الجامعى ــ مكة المكرمة ــ ١٤٠٧هـ/١٩٦٨م ص٩٣

تنبئ عن الحزن القاتل الذى يحس به[1] كما تسهم البنية الإيقاعية للنص فى تصوير هذا الانفعال الذى يلقية فى النفس .

وجملة :"ليسؤوا وجوهكم" فى آية الإسراء أن أثر السوء يبدو عليها جراء ارسال العباد من الله عليهم فتبدو عليهم الكآبة والذلة والخوف والحزن والسواد وقيل بالنهب والقتل والسبى فحصلت الإساءة لهم[2] ثم يتبروا ويغلبوا غلبة بليغة لا توصف.

١ــ ينظر الكشاف ٥٨٢/٤

٢ــ ينظر روح المعانى١٩/١٥

المحور الثالث

التصوير باللون

تغير ألوان الوجه بالبياض أو السواد من أبرز المظاهر الخارجية التى شخصها الله لنا فى القرآن الكريم للدلالة على الانفعالات النفسية ، إذ أن للألوان دلالتها فى تشخيص الفرح الذى يشعر به الإنسان والحزن الذى يخيم عليه ، فالألوان لا تحيل إلى الألوان ذاتها لكنه يتحول إلى دلالة ثانية إيحائية ذات طبيعة وجدانية.

ولا شك أن اللون من أهم الظواهر التى تشكل الصورة ، لأن له ارتباط بمجالات الحياة وظواهر الكون ، وله علاقة وطيدة بعلم النفس ، وفى القرآن الكريم صور الله لنا الوجوه بلونين متضادين وهما الأبيض والأسود فالأبيض يرمز للطهارة والنور والنقاء والصفاء والخير والعدالة وقد ورد إحدى عشرة مرة ويقابل باللون الأسود فى كل دلائله إذ يمثل ويصور كل الأوصاف الإيجابية والخصائص المحمودة.

فهناك شبكة من العلاقات التى تربط هذا اللون وسلوك الإنسان وعلى النقيض اللون الأسود لون الظلام واليأس والخيبة والخسران والضيق والحزن والكدر والغم وقد ورد فى سبع آيات فعند كظم الغيظ والحزن يجعل النفس سوداوية وهذه السوداوية تظهر على الوجه.

ويتضح ذلك من خلال معالجة الآيات

١ــ قال تعالى :"وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون"النحل : ٥٨ .

وقوله تعالى :"وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم" الزخرف : ١٧ .

يصور الله تعالى فى الآيتين الكريمتين حال أهل الجاهلية بمشهد يظهر فيه التهكم

فالصورة توحد بين الخارج والداخل فالملامح الخارجية بدت عليها امارات الحزن والغم العميق إذ اربد الوجه وتغير متنكرا وعلاه السواد من سوء ما بشر به واللون الأسود هنا يحيل بظلاله فى السياق إلى هذه الدلالة الشعورية والحركات الداخلية فى"وهو كظيم" الذى تعبر عما تكنه النفس من الحزن الشديد فى كرهها للإناث فضلا عن رصد التعبير اللاحق للتردد الذى يمور فى خاطر الرجل من الإبقاء عليهن ذلا وهوانا أم وأدهن وهن حيات للخلاص من وسمة العار ، واتخذ سبحانه النص لإبراز هذا الصراع النفسى بوصفه وسيلة للكشف عن خبايا قلب الرجل ، والتحدث عنها صراحة دون تمويه وتغطية ، فهو يصور ما يختلج داخل نفسه من أفكار ومشاعر ويعرضها بصدق تام وحركة كاملة كاشفا البواعث والخواطر والمحفزات التى تكمن وراءها[١].

١ــ ينظر تصوير الانفعالات النفسية فى القرآن الكريم دراسة فنية ــ صالح ملا عزيز ــ موقع مجالس الطريق إلى الجنة.

فرصد الصورة جاء متتابعا فقد صور تهكم من حوله بكلمة "بشر" ثم صور شدة الكرب والضيق بـــ "ظل وجهه مسودا وهو كظيم" ، ثم صور وقع النبأ الذى حمله إليه القوم مبشرين أو متهكمين أو مشفقين بقوله :"يتوارى من القوم من سوء ما بشر به" ثم صور الحيرة التى تراوده وتطوف بخاطره بقوله:" أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب" [١]، وردد التفكير والنظر فى "يدسه" لتبصر كيف أنها تشف عن الغيظ والشدة والتخفى من الناس ، وقد تلبست بها حالة الرجل وأعضاؤه ، وكيف تصور لك دوافع الغيظ المضادة للرحمة فى مظهرها الضعيف المتألم[٢].

ان اثبات حدوث السواد فى الصورة يتضمن الدلالة على أن بشرة الوجه لم تكن كذلك قبل حدوث البشارة ، وهذا يوحى بأن الغم الذى يجسده تلك الصورة هو حال يطرأ على النفس بعد أن كانت على حال مغايرة[٣].

يشمل هذا المحور من البحث التغيرات التى تعترى الوجه فى مواقف معينة كتغير لون الوجه من اللون الطبيعى إلى الشحوب والإكفهرار أو من الاكفهرار إلى التورد والاحمرار ، وكما يتغير لون الوجه من السواد عند الشعور بالكآبة والغم والكرب، وإلى البياض عند الشعور بالفرح والسرور وهو ما أطلق عليه بيروسل مصطلح البرالينات فى علم اللغة المعاصر [٤].

١ــ البعد التصويرى فى القرآن ــ رسالة ماجستير ــ د/ مــريم ســعود ــ جامعــة الجزائر / ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م ص ١٦٠.

٢ــ ينظر البلاغة القرآنية ــ دراسات فى الصورة القرآنية. ص ١١٥.

٣ــ ينظر من روائع القرآن ــ محمد سعيد رمضان ــ مؤسســة الرســالة ــ بيــروت ١٩٩٦م ص ٢٠٨.

٤ــ انظر دراسات فى علم اللغة ــ فاطمة محجوب ص ١٩٠.

ومن الآيات التى صورت ذلك فى القرآن قوله تعالى :"يوم تبيض وجوه وتسود وجوه" إن [التقابل طريقة من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين والتعبير القرآنى يكثر من استخدامها فى تنسيق صوره التى يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق] [١].

يرسم السياق مشهدا من المشاهد القرآنية الفائضة بالحيوية فنحن فى مشهد هول لا يتمثل فى ألفاظ ولا فى أوصاف ولكن يتمثل فى آدميين أحيانا فى وجوه وسمات قد أشرقت بالنور وفاضت بالبشر فابيضت من البشر والبشاشة ، واستنارت على حين الوجوه الأخرى قد كمدت من الحزن وأغبرت من الغم واسودت من الكآبة وليست مع ذلك متروكة إلى ما هى فيه ولكن اللذع والتبكيت والتأنيب[٢].

والبياض والسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر فى يوم القيامة[٣]، ولعل البياض الحاصل لنا هو من جراء السعادة والفرح ، والسواد الحاصل من الغم والضيق والكدر.

وقد ذكر البياض أولا تشريفا للمؤمنين ورحمة الله ونعمته يوم القيامة تسبق عذابه ، ولأن ذكر سمة أهل النعيم أولا حسرة ونكاية بالكافرين ، ولكن بدأ بتفصيل حال أهل الكفر توبيخا وتقريعا وزيادة فى تعجيل النكاية بهم[٤].

١ــ التصوير الفنى / ٨٠.
٢ــ فى ظلال القرآن ٤/ ٤٤٥.
٣ــ ينظر التحرير والتنوير ٤/ ٤٤.
٤ــ ينظر نظم الدرر ٢/ ١٣٤.

ويزيد الحوار رسما وإيضاحا لحال هؤلاء الكفرة يدلنا عليه ما ألت إليهم أحوالهم فجاء فى هذا السياق لتكتمل حالة الذل التى يعيشونها فى الآخرة ، وليستمر عذابهم من خلال الازدراء والاحتقار الذى ألم بهم[1] .

ولذلك نرى اكتمال المشهد الحسى واستيفاءه بالتناسق والصور وتظهرهذه الانفعالات بمباغته هؤلاء الكافرين حوارا مجهول المصدر بما يكون من الملائكة ليزيد المؤمين فرحا ونعيما ويزيد الكافرين حزنا على حزنهم وألما على ألمهم.

ويجب أن نشير إلى أن التعبير المضارع (تبيض وتسود) لاستحضار الصورة أمامنا ويستنزلها من الأخرة فى غمضة عن لتنتصب ماثلة أمامنا فى دنيا الناس فيزيد ذلك من الترغيب والترهيب ويتحقق الهدف الدينى من التصوير بحركة الوجه فى القرآن الكريم ، بالإضافة إلى الجمال البيانى.

قال تعالى : "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة".

لاشك أن النجاة من أهوال يوم القيامة ، وكربات الحشر ، نجاة وغنيمة، وفضلا يضاف للجزاء ، فالذين أحسنوا هم الناجون من عرصات القيامة ، ناجون من الذل والانكسار والحزن والغم والكدر الذى يخيم على النفوس وينعكس على الوجــوه فتكون مكفهرة ، يقوم التشبيه بإبراز الصور الشكلية ، واستقرار المظاهر الحسية فى وجوه الذين كسبوا السيئات يوم القيامة لتبدو الصورة محسوسة مرئية فى السواد والقتام فى وجوه مسودة

١ــ ينظر لغة الجسد فى القرآن الكريم ــ ص ٥٣.

قطيبة عليها آثر الذل والانكسار خائفة تترقب نزول السوء والعذاب ، وتحزن على ما قدمت واقترفت يداها[١].

ثم يرسم السياق صورة للظلام النفسى ، والكدرة التى تغشى المكروب المرعوب كأنما أخذ من الليل قطع ورقع وغطيت بها هذه الوجوه ، فالليل مخيف بسواده وظلامه كيف وإن كان المكان كله ظلام[٢] ، يغشاه لا شك أن الرهبة والخوف يزيد.

واختير بقطع الليل ؛ لأن المقصود ليس مجرد الظلام وإنما هو الظلام الشديد فى ظلمته وسواده ، ولذلك صرح بالوصف تأكيدا وبيانا لشدة الظلمة ، وهنا تعبير بهذه الصورة الحسية ، وهى إحاطة وجه المكروب المرعوب بالسواد الشديد عن ظلام النفس ، وكدرتها ، فالسواد المعنوى فى نفس الكافر يبرز على وجهه سواداً حسياً[٣].

فهذا السواد الذى أصاب وجوههم ليس لونا ولا صبغة وإنما قطعة من الليل المظلم غطيت بها وجوههم[٤].

كما يرد على نفس السياق قوله تعالى : "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين" الزمر : ٦٠

هذه الآية معطوفة على ما قبلها فى بيان حال الكافرين يوم القيامة من الندم والحسرة "واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم

١ــ ينظر تصوير الانفاعلات النفسية فى القرآن الكريم ، مجالس الطريق إلى الجنة.
٢ــ ينظر فى ظلال القرآن ١١/ ١٧٧٩.
٣ــ ينظر البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسمية / ٩٧.
٤ــ التصوير الفنى / ٦٩.

العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين" الزمر ٥٥ــ ٥٩

فوجوه الكافرين يراها كل راء يوم القيامة خيم عليها السواد والكأبة والأظهر أن سواد الوجوه حقيقة جعله الله علامة له يوم القيامة على خلاف الناس(١).

فالسواد علامة على سوء المصير ، وقد وجد أحد الباحثين أن تكرار أى تصرف يؤدى مع مرور الزمن إلى انطباع علامات محددة على وجهه، وأكثر هذه العلامات ظهورا على الوجه عندما يكرر الإنسان الكذب ويعتاد عليه فيترك آثاره على وجهه دون أن يشعر الكذب ويعتاد عليه طبعا ، فيترك آثاره على وجهه دون أن يشعر به فى الدنيا ، لكن فى الآخرة سوف تظهر هذه العلامات واضحة على وجهه(٢).

فالاستفهام التقريرى يقرر حقيقة وصفهم بالمتكبرين إيماء إلى أن عقابهم بتسويد الوجوه كان مناسبا لكبريائهم ؛ لأن المتكبر إذا كان سئ الوجه انكسر كبرياؤه ؛ لأن الكبرياء يضعف بمقدار شعور صاحبه بمعرفة الناس لنقائصه .

١ــ ينظر التحرير والتنوير ٢٣/ ٤٩.

٢ــ ينظر موقع عبدالدائم الكحيل للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة ــ مقال عن ملامح الوجوه.

الخاتمة

وبعد فإنني أرجو " الله تعالى" أن أكون بهذا البحث قد تتبعت بلاغة التصوير بالوجه فى القرآن الكريم فى شتى أوضاعه وألوانه وحركاته وأن أكون قد كشفت عن جماليات التصوير بلغة الإشارة الخاصة بالوجه وإبراز بلاغتها وقدرتها فى الإبانة عن أدق أسرار النفس البشرية ، وأحوالها.

ولعل أبرز النتائج التى توصل إليها البحث تتلخص فيما يأتى :

١ــ تصوير الوجوه لحركتها الواقعية أو التخيلية ليس لإيصال المعنى فحسب بل للتأثير على المتلقى ، ولذا كان للتصوير الحركى النصيب الأوفر فهو يجسد المعانى فى صور حسية شاخصة.

٢ــ كشف خبايا النفوس وما ينطوى فى داخلها من مشاعر فالوجه مرآة النفس.

٣ــ أغلب التصوير جاء فى تصوير وجوه الكافرين يوم القيامة بحيث كأنها ترى بالعين ترهيبا من الكفر وتقبيحاً له ، والتحذير من سوء المصير.

٤ــ نقل الأساليب البيانية (المجاز ــ التشبيه ــ الكناية) وأغلب التصوير يأتى تصويرا حقيقيا مؤكدا.

٥ــ يزيد الحوار فى بعض المواقع من إيقاع المشهد ونبضه وحركته.

والله المستعان ..... د/ مها المشيطى

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ــ روح المعانى ــ الألوسى . محمود شكرى دار إحياء التراث ط٤ / ١٤٠٥هــ/ ١٩٨٥م

٣ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ دار صادر بيروت ١٤١٤هــ/ ١٩٩٤م .

٤ــ خصائص التعبير القرآنى ــ عبد العظيم المطعنى مكتبة وهبة ط١ ــ ١٤١٣هــ/ ١٩٩٢م.

٥ــ التحرير والتنوير ــ الطاهر بن عاشور المكتبة الإسلامية ــ بدون.

٦ــ تيسير الكريم الرحمن ــ السعيدى ــ مؤسسة الرسالة ط٤ ــ ١٤١٧هــ /١٩٩٧م.

٧ــ البلاغة القرآنية فى الإشارة والحركة الجسمية ــ عبدالله هنداوى ــ مطبعة الأمانة ط١ ــ ١٤١٦هــ/ ١٩٩٥م.

٨ــ المفردات فى غريب القرآن ، الأصفهانى ــ تحقيق ــ محمد سيد الكيلانى ط بيروت.

٩ــ التصوير الفنى ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ بيروت ط١ ــ ٢٠٠٩م.

١٠ــ فى ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ القاهرة ــ ط١ ــ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١١ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ــ البقاعى ــ ت عبدالرازق المهدى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط١ ــ ١٤١٩هـ / ١٩٩٧م.

١٢ــ لكشاف ــ الزمخشرى ــ ت . مصطفى حسين أحمد ــ دار الكتاب العربى بدون.

١٣ــ صحيح مسلم بشرح الإمام محى الدين النووى ــ ت . الشيخ خليل مأمون ــ دار المعرفة ــ بيروت ط٢ ــ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١٤ــ أسرار النظم القرآنى فى سورة الحج ــ محمد أبوزيد ــ دار الارقم ط١ / ١٤٠٩هـ/ ١٣٨٩م.

١٥ــ من روائع القرآن ــ محمد سعيد رمضان البوطى ــ مؤسسة الرسالة بيروت ــ ١٩٩٦م.

١٦ــ الإعجاز البيانى للقرآن ــ عائشة عبدالرحمن ــ دار المعارف ــ القاهرة بدون.

١٧ ــ معانى القرآن للفراء

١٨ ــ لغة الجسد فى القرآن الكريم ــ أسامة جميل ربايعة ــ جامعة النجاح ــ فلسطين ٢٠١٠.

١٩ــ البعد التصويرى فى القرآن الكريم ــ مريم سعود ــ جامعة الجزائر ــ ٢٠٠٥م.

٢٠ــ تفسير أبو السعود ــ دار إحياء التراث ــ ط٢ ــ ١٤١١/ ١٩٩٠م.

٢١ــ التصوير المجازى والكنائى ــ صلاح الدين محمد أحمد ــ مكتبة سعيد ــ مصر ط١ ــ ١٤٠٨/ ١٩٨٦م.

٢٢ــ معانى الحروف ــ الرمانى ــ ت . عبدالفتاح شلبى ــ مكتبة الطالب الجامعى ــ مكة المكرمة ط٢ / ١٤٠٧/ ١٩٨٦

٢٣ــ صور من التحليل الأسلوبى ــ د/أحمد محمد قدور ــ دار القلم العربى ــ دار الرفاعى ــ ط١ ــ ٢٠٠٥ ــ ١٤٢٦هـ .

٢٤ــ الصورة البيانية فى معلقة عنترة بن شداد ــ د/ عبدالجواد محمد طبق ــ ط١ ــ ١٤١١ ــ ١٩٩٣م ــ دار الأرقم ــ مصر .

٢٥ــ نظرية التصوير الفنى عند سيد قطب ــ صلاح عبدالفتاح ــ دار الفرقان ــ عمان ــ ط١ ــ ١٩٨٣م .

٢٦ــ نظرات لغوية فى القرآن الكريم ــ صالح العايد ــ دار شبيليا ــ الرياض ــ ط١ ــ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م .

٢٧ــ الأسلوبية الصوتية ــ د/ محمد صالح الضالع ــ دار غريب ــ القاهرة ٢٠٠٢م .

٢٨ــ أصوات اللغة العربية والأداء القرآنى ــ د/ عيد الطيب ــ ط٣ ــ ١٥٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

المواقع الإلكترونية

١ــ جماليات الحركة فى التعبير القرآنى ــ د/ صلاح ملا ــ موقع مجالس الطريق الى الجنة.

٢ــ من بلاغة التصوير بالحركة فى القرآن الكريم ــ د/ يوسف الأنصارى ــ جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ــ موقع جامعة أم القرى .

٣ــ تصوير الانفعالات النفسية فى القرآن الكريم ــ دراسة فنية ــ صالح ملا ــ موقع مجالس الطريق إلى الجنة .

٤ــ الحروف فى القرآن الكريم ــ د/ محمود العطيفى ــ جامعة أسيوط ــ موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة.

٥ــ سيماهم فى وجوههم موقع عبدالدائم الكميل للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة .

٦ــ جماليات اللون فى القرآن الكريم ــ موقع دار النور.

الدوريات :ـــ

١ــ جماليات التصوير فى سورة الملك ــ د/ مها المشيطى ــ مجلة الدراسات العليا ــ العدد ٢٠١٢/٢٥ كلية دار العلوم ــ جامعة المنيا.

٢- رسائل جامعية مخطوطة :ـــ ١ــ قصص إبراهيم عليه السلام دراسة بلاغية تحليلية ــ د/مها المشيطى ــ كلية الآداب ــ الرياض ١٤٢٠هـ

٣ ـــ الإكسير فى علم التفسير ــ الطوفى ــ ت ــ د/ عبدالقادر حسين ــ المطبعة النموذجية ــ مصر.

٤ ـــ البصائر والذخائر ــ أبو حيان التوحيدى ــ ت أحمد أمين ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ مصر ١٩٥٣م.

٥ـــ الخصائص لابن جنى ــ ت ــ محمد على النجار ــ ط بيروت.

٦ـــ دراسات فى علم اللغة ــ د/ فاطمة محجوب ــ دار النهضة العربية ــ مصر

٧ـــ كتاب الفراسة ــ الرازى ــ ت د/ يوسف مراد ــ ط الهيئة المصرة العامة للكتاب ــ مصر ١٩٨٢م

٨ ـــ الإنتصاف لابن المنير الاسكندرى حاشيته على الكشاف